

قراءات كتب بالعربية

النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية: من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام 1946م

سليم عرفات المبيض

القاهرة: مهرجان القراءة للجميع، 2005.

300 صفحة من القطع الكبير.

على عكس الطريقة التقليدية في عرض الكتب التي يتم من خلالها عرض النص قبل تقويم الكتاب والكاتب، أجد نفسي ملزماً بتقديم الشكر للباحث الفلسطيني الأستاذ سليم عرفات المبيض على كتابه "النقود العربية الفلسطينية" الذي شكل إغناء للمكتبة التاريخية الفلسطينية التي تفتقر تماماً إلى مؤلفات في هذا النوع من المعرفة التاريخية التي تتعلق بعلم النميات (مشتق من الاسم اللاتيني Nummus الذي كان يطلق على النقود)، الذي يختص بالمعرفة التاريخية القائمة على دراسة النقود من حيث تاريخ ومكان سكها، ومعرفة قيمتها في وقتها، والمجال الجغرافي لتداولها، إلخ. أما من الناحية المتعلقة بالتاريخ المعاصر، ومن خلال فصله الأخير (الفصل التاسع عشر) الذي عني على نحو تفصيلي بالإصدارات المتعاقبة للعملة الفلسطينية، المعدنية والورقية، في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين، فيمكن القول إن هذا الفصل الذي يكاد يشكل كتاباً قائماً بذاته بات يشكل اليوم (في ظل النشاط الصهيوني المستمر منذ أكثر من نصف قرن لطمس معالم العملات والطابع والوثائق الدالة على الوجود الفلسطيني قبل ولادة دولة إسرائيل) وثيقة ذات شواهد تاريخية عظيمة الدلالة على النشاط الاقتصادي والحياة المعيشية للفلسطينيين من خلال عملتهم الوطنية.

النقود الفلسطينية

من القرن السادس قبل الميلاد

حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

على مدى القسم الأعظم من كتابه، والذي احتل الفصول 3 - 18، يعرض المؤلف تاريخ النقود التي سكت في مدن فلسطين، بالإضافة إلى تلك التي تم تداولها في فلسطين، بدءاً من بداية التوسع الفارسي في بلاد الشام وأواسط القرن السادس قبل الميلاد. ففي هذه الفترة بدأت تظهر في فلسطين (أسوة بالولايات الشامية الأخرى) العملة الفارسية المكونة أساساً من "الداريق الذهبي" و"السلجوس الفضي"، وذلك منذ سنة 538 قبل الميلاد. كما بدأت تظهر ولأول مرة، منذ بداية القرن الخامس قبل الميلاد، في ظل الاحتلال الفارسي الذي دام حتى سنة 332 ق.م، العملة العربية الفلسطينية (أو العربية الفينيقية). وهذه العينة من النقود العربية الفلسطينية (أو النقود الغزية كما يطلق عليها بعض المؤرخين) لا تزال موجودة في المتحف البريطاني في لندن وتظهر عليها حروف عربية وأرامية تشير إلى أنها ضربت في مدينة غزة، كما تظهر عليها ملامح يونانية تشير إلى أنها متأثرة فنياً بشكل وطريقة ضرب العملة الأثينية التي كانت تظهر عليها صورة الإلهة أثينا والبومة التي ترمز إليها، إضافة إلى غصن الزيتون. ويحتوي الكتاب على صور من هذه النماذج المبكرة من العملة الفلسطينية المضروبة في غزة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن غزة كانت مركز ضرب العملة الفينيقية لعرب الجنوب من الفينيقيين، تماماً كما كانت صور وصيدا وبيبلوس وأرواد مركز ضرب العملة الفينيقية لعرب الشمال من الفينيقيين طوال الحقبة الفارسية.

يتابع المؤلف، بعد عرضه تاريخ العملة العربية الفلسطينية خلال الحقبة الفارسية التي امتدت من سنة 538 إلى سنة 332 ق.م، عرض تاريخ العملة الفلسطينية في زمن الإسكندر الأكبر الذي غزا فلسطين سنة 332 ق.م. وما تلاه من عهود تمثلت في حكم البطالمة والسلوقيين، أي حتى نهاية الحكم اليوناني الذي امتد حتى سنة 63 ق.م. وخلالها امتد ضرب العملة الفلسطينية المحلية من غزة إلى عسقلان ويافا وعكا، بحيث كانت كل مدينة تضرب عملاتها المحلية بأشكال ورسوم تختلف فيها عن غيرها.

كذلك كان للعملة الرومانية، بدورها، المسكوكة في المدن الفلسطينية باع طويل. فتاريخ السيطرة الرومانية على فلسطين امتد من سنة 63 ق.م. (أي منذ انتصار القائد الروماني بومبي على السلوقيين) حتى سنة 395 ميلادية، أي نحو أربعة قرون ونصف قرن. ويحتوي الكتاب على عرض مستفيض للنقود التي ضربت في غزة موثقة بالصور الدالة التي تحمل اسم غزة: AZA، كما يحتوي على عرض مفصل ومصور للنقود التي ضربت في أنثيدون (ميناء غزة القديم الواقع في المنطقة الساحلية الحالية التي تحمل اسم "البلاخية")، وعسقلان، وجوبا (يافا)، وقيسارية، وعكا، وبيت جبرين (البتروبوليس) والقدس، وجابا (جنوبي شرقي حيفا)، وأخيراً نقود دورا (الطنطورة) التي تمتاز من غيرها من النقود الرومانية التي ضربت في مدن فلسطين بكونها أظهرت، وعلى نحو استثنائي، صورة الإلهة عشتار التي حلت محل إلهة الحظ الرومانية "تيخون" على أغلب المسكوكات الخاصة بالمجموعة النقدية المذكورة.

عملة العرب الأنباط

المضروبة في غزة

لا يمكن الانتقال من الحقبة الرومانية إلى الحقبة البيزنطية التي تلتها من دون التذكير بالعملة العربية النبطية التي ضربها الملوك العرب الأنباط في غزة تعبيراً عن سيادتهم (في ظل الحكم الروماني لمصر والشام) على الطريق التجاري الواصل بين العقبة وغزة. ويؤرخ لبداية سك العرب الأنباط لعملتهم مع بداية عهد الملك العربي النبطي الحارث الثالث (حكم بين سنة 87 وسنة 62 ق.م.). وعن هذه المجموعة النقدية العربية النبطية، والتي يؤرخ لها حتى بداية القرن الثاني الميلادي، أي حتى تاريخ قضاء الملك الروماني تراجان (عهده من سنة 98 إلى سنة 117 ميلادية) على مملكة العرب الأنباط، يعرض الكاتب تاريخ هذه المجموعة التي عثر على أكثرها قرب شواطئ غزة. ومن خلال عرض هذه المجموعة، التي ضربت أغلبيتها زمن الهيمنة الرومانية على مصر والشام، يتضح حرص الملوك العرب الأنباط على كتابة أسمائهم عليها باللغة العربية النبطية، إلى جانب تثبيت كل ملك صورته عليها إلى جانب صورة زوجته (كما في حال عملة الملك الحارث الرابع الذي ثبت على عملته صورة زوجته الأولى "خلدة"، وفي وقت لاحق صورة زوجته الثانية "شقيقة")، أو والدته (كما في حال عملة الملك عبادة الثاني الذي ثبت على عملته صورة والدته). ويحتوي الكتاب على صور دالة على هذه المجموعة النقدية العربية النادرة التي ضربت في غزة، والتي تم تداولها في فلسطين الجنوبية خلال فترة دامت نحو قرنين.

* * *

الحقبة البيزنطية، مثل الحقبة الرومانية، لها نصيب وافر في تاريخ العملة الفلسطينية نظراً إلى أن الوجود البيزنطي في فلسطين استمر من سنة 395 ميلادية إلى سنة 622 ميلادية، ومثلها النقود العربية الإسلامية التي يرجع تاريخها إلى عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي يؤرخ له من خلال عهده (41 - 60هـ) بأنه أول من أصدر المجموعة النقدية الإسلامية الأولى، وهي مجموعة من الدينار والدرهم والفلوس التي جمعت بين المأثورات الإسلامية (مثل صورة الخليفة واسمه، إضافة إلى اعتماد التقويم الهجري)، والبيزنطية (مثل حرف M اللاتيني الذي يرمز إلى العملة البيزنطية). ويذكر المؤلف من خلال هذا العرض التاريخي للعملة التي ضربت في فلسطين خلال العهد الأموي، والعهد الإسلامي التي لحقت، بأن المدن الفلسطينية كانت تمتاز من بقية المدن العربية الأخرى بأنها كانت الأوفر حظاً، وتتفوق على قرانها من المدن الأخرى، كموطن لضرب العملة. وهذه الظاهرة كانت تسري بدورها على الحقب السابقة، اليونانية والرومانية والبيزنطية، إذ كانت مدن فلسطين المراكز الأساسية لضرب العملات خلال الحقب المذكورة وذلك نظراً إلى موقعها الاستراتيجي، وتعدد موانئها، ومواقع مدنها القريبة من البحر، بالإضافة إلى مكانتها الدينية.

العملة الوطنية الفلسطينية

في مرحلة الانتداب البريطاني

بعد عشرة أعوام على هزيمة السلطنة العثمانية أمام الحلفاء ودخول الإنكليز فلسطين مع نهاية الحرب العالمية الأولى، بدأت سلطات الانتداب البريطاني تتجه نحو إصدار عملة محلية فلسطينية تحل محل المصرية التي حلت محل النقود العثمانية منذ سنة 1917. وبموجب هذا التوجه الذي أثمر إنشاء ما سُمي وقتذاك "مجلس العملة الفلسطينية" - وكان مقره في لندن - بدأ المجلس المذكور اعتباراً من سنة 1927 إصدار أول طبعة من العملة المحلية

الفلسطينية التي تتكون من مجموعة نقدية معدنية، ومجموعة نقدية ورقية. وكانت المجموعة المعدنية التي بدأ تداولها سنة 1927، وظهرت منها طبعا متتالية حتى سنة 1946، تتكون (من الأدنى إلى الأعلى) من 1 مل، و2 مل، و5 ملات (تعريف)، و10 ملات (القرش)، و20 ملأ (قرشان)، و50 ملأ (شطن فضة)، و100 مل (بريزة فضة). أما المجموعة النقدية الورقية التي بدأ تداولها مع بداية أيلول/سبتمبر 1927، وظهرت منها طبعا متتالية حتى سنة 1945، فتتكون من خمسمئة مل (= نصف جنيه)، وجنيه فلسطيني، وخمسة جنيهات فلسطينية، وعشرة جنيهات فلسطينية، وخمسين جنيهاً فلسطينياً، ومئة جنيه فلسطيني. ولقد حرص المؤلف من خلال كتابه على تثبيت جدول زمني لإصدار كل فئة من فئات العملة المعدنية (من 1 مل إلى 100 مل)، وذلك من سنة 1927 إلى سنة 1946. وثبت إلى جانب كل جدول زمني صوراً للعملة مطابقة للجدول الزمني الخاص بإصدار كل فئة، وذلك بهدف تعريف مواطنة الفلسطينيين، وعلى نحو تفصيلي بعملتهم الوطنية التي باتت تشكل من الناحية الرمزية معادلات للعلم الفلسطيني وللنشيد الفلسطيني. كذلك الأمر بالنسبة إلى فئات المجموعة النقدية الورقية (من نصف جنيه إلى مئة جنيه). لكنه، ولأسباب نعرفها، عجز هذه المرة عن تثبيت صور مطابقة لكافة الإصدارات، واكتفى بنموذج واحد من كل فئة. وهذا الأمر عائد إلى ندرة العملة الورقية الفلسطينية، وشبه استحالة جمع نماذج لما سبق أن صدر منها من إصدارات حتى سنة 1945.

أخيراً، وعلى هذا الصعيد الأخير المتعلق بالفصل التاسع عشر، والذي يصلح ليكون بحد ذاته كتاباً مستقلاً عن تاريخ المجموعة النقدية الفلسطينية، لا بد من إعادة التذكير بفضل الكاتب على هذا الصعيد المتعلق بالإضاءة، ومن عدة جوانب وزوايا، على هذا الجانب المهم من تاريخ عملتنا الوطنية في مرحلة ما قبل النكبة، والتي جرت إسرائيل من خلال عملائها المنتشرين في العالم على جمع كل ما يتوفر منها وإتلافه بقصد شطب هذه البيانات الدالة على الوجود الفلسطيني من الذاكرة.

وبحكم معرفتي خلال الأعوام الماضية، التي حرصتُ من خلالها على اقتناء ما يمكن الحصول عليه من المجموعة النقدية الفلسطينية، فإن اليد الصهيونية وصلت إلى الأقطار العربية من خلال عملائها (غير المباشرين) الذين بدأوا تصيد كل ما يمكن الحصول عليه من المجموعة النقدية الفلسطينية حتى بات من الصعوبة بمكان الحصول على عينات منها من أسواق التعامل بالعملات القديمة (الأنتيكا) لأسباب تتعلق بالندرة حيناً، وارتفاع قيمة أية قطعة نقدية منها (الورقية خاصة) حيناً آخر. لذا جاءت تغطية المؤلف المعززة بالصور لإصدارات العملة الوطنية الفلسطينية في زمن ما قبل النكبة، لتشكل محاولة في غاية الجدية لإنقاذ هذا الجانب المهم والحيوي من التراث الوطني الفلسطيني من الضياع.

حسن عبد العال

كاتب فلسطيني مقيم بسورية

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx